

القديس أمبروسيو أسقف ميلان



سيرته

- ولد القديس أمبروسوس في فرنسا سنة 339م.
- من عائلة رومانية، توفي والده بعمر صغير فعادت الأم مع أولادها الثلاثة إلى بلاد المنشأ روما.
- درس الفلسفة والأدب والخطابة والحقوق وتعلم اللغة اليونانية مما أهله أن يصير خطيباً كبيراً.
- تدرّج أمبروسوس في الوظائف حتى صار من كبار موظفي الامبراطورية.
- توفي أمبروسوس في خضم عمله الرعائي وسهره على النفوس في الرابع من نيسان عام 397 عن عمر 58 سنة تقريباً.
- تعيّد له الكنيسة المقدّسة في السابع من كانون الأول تاريخ سيامته أسقفاً.

تتصيه أسقفاً

- بعد موت الأسقف الأريوسي أفكسندوس سنة 374، انقسم الشعب فريقين: أورثوذكسي وأريوسي، مما أدى إلى تدخل أمبروسيوس بصفته حاكم المنطقة.
- بسبب وداعته، إذا بالفريقين يتفقان على اختياره أسقفاً عليهما، وهو لم يزل حاكماً ولم يكن قد اعتمد بعد (لم يكن قد اقتبل سرّ المعمودية بعد).
- اعترض أمبروسيوس بشدة على هذا الاختيار، ولكن الشعب أصرّ، فرضخ لإرادتهم وإرادة الله. بعد ثمانية أيام من معموديته، تلقى خلال ثمانية أيام الدرجات الكهنوتية الثلاث وصار أسقفاً على المدينة عام 374.
- وقد قال: "كنت من أبناء هذا العالم، وقد أرادوا أن ينتزعوني من أباطيله".

- بعد سيامته أسقفًا وزّع ثروته على الفقراء، وكانت كبيرة جدًا ولم يترك سوى القليل لأخته، ثم عاش في نسك وتقفّ كبير.
- انكبّ على دراسة اللاهوت، وخاصة الآباء ومُعلمي الكنيسة لا سيّما القديس باسيليوس الكبير وأوريجينيس المُعلّم، ذلك تحت إرشاد كاهن يدعى سمبلسيانوس، الذي صار فيما بعد خليفته.
- واجه الوثنيّة والأريوسيّة (لم يبق أريوسيون فترة أسقفيتّه)، حتّى الأباطرة لأجل الدّفاع عن الكنيسة والحقّ المسيحي.
- كان يُقيم الذبيحة الإلهيّة يوميًا ويعظ يوم الأحد.

رِ عَايَة شَعْبِه

- اهتمَّ القديس أمبروسيوس كثيرًا بشعبه ورعاهم رِ عَايَة كاملة.
- كان يستودِع كامل مدخوله للعناية بالفقراء.
- كان يقول: ” إِنَّ إطْعَامَ الجِيعِ وفكَّ الأَسْرِ وتشْيِيدَ الكِنَائِسِ والعِناية بالمَدَافِنِ يجعلُ بِيَعَ الأَوَانِي المقدَّسة حلالاً“.
- اعتادَ أن يبكي مع الباكين ويفرح مع الفرحين.
- كان يسعى دائماً لإنقاذ حياة المحكومين بالموت.
- اعتنى بالتائبين عن خطاياهم ودعاهم للاعتراف.
- حثَّ المؤمنين على المناولة المتواترة.

فكر أمبروسيووس اللاهوتي

- تأثر أمبروسيووس من مُحيطه اللاهوتي ممّا ساهم في نقل روح اللاهوت الشرقي إلى الغرب.
- اعتمد أمبروسيووس في أعماله الأخلاقيّة والنسكيّة على خبرته الشخصيّة، أما في أعماله التفسيرية واللاهوتية فاعتمد على الآباء اليونانيين.
- تحدّث عن الثالوث القدّوس وعن وحدة الجوهر بين الآب والابن والروح القدس.

أقواله عن المسيح

المسيح	ولد من العذراء
صدر عند	عن الأب الأب وفي الأب
مولود ليس	وغير مخلوق منفصلاً عن الأب
إله حقّ	من إله حقّ

نجد قراءة واضحة لنصّ دستور الإيمان، لكن ليست عقلانيّة، هي اعتراف عقائديّ لحقائق الإيمان، مع بعض الإضافات التي تضع القارئ في علاقةٍ شخصيّةٍ حيّة مع الربّ يسوع.

عن الملائكة

حرّاس لكلّ
كنيسة ولكلّ
طبقة اجتماعيّة.
كما يبدو أنه
يقبل بوجود
ملاك حارس
لكلّ إنسان (في
المزامير، 37، 43 و 38، 8).

الملائكة هم
الأداة التي بها
يُحَقِّقُ اللهُ
إرادته
الخلاصيّة في
العالم.

الأعمال التفسيرية

- تُشكّل أعماله التفسيرية القسم الأكبر من كتاباته.
- اعتمد بشكل رئيسي على فيلون الإسكندري وأوريجنس في التفسير الرمزي للنصّ ومحاولة استخراج المعنى الأخلاقي منه. فيما عدا شرحه لإنجيل لوقا، الذي اتّبع فيه التفسير الحرفي الأدبي، لم يفسّر أمبروسيوس إلا كتب العهد القديم، وقد اعتمد فيها على القديس باسيليوس الكبير.
- سعى القديس في تفسيره أن ينقل نصّ الإنجيل من الحرف إلى الروح، بهدف حثّ المؤمنين للتوبة من أجل الخلاص.

شرح القديس لحادثة إنكار بطرس للمسيح

- "لقد حزن بطرس وبكى بسبب الخطأ الذي ارتكبه. لم أجد في الكتب المقدسة أنه تفوه بأي حرف، ولكنني قرأت فيها أنه بكى. لم أقرأ فيها اعتذاره، بل قرأت دموعه". ويتابع أمبروسيو قولاً: "هؤلاء الذين يبكون هم الذين ينظر إليهم المسيح. فبطرس أنكره للمرة الأولى ولم يبك، لأن الرب لم ينظر إليه، وأنكره ثانية ولم يبك، لأن الرب لم يكن قد نظر إليه بعد. في المرة الثالثة بكى بكاءً مُراً لأن المسيح نظر إليه بعد إنكاره". هنا النصّ الإنجيلي يقول: "فالتفت الرب ونظر إلى بطرس فتذكر بطرس كلام الرب...". (لو 22: 61).
ينتهي أمبروسيو تأمله بالدعاء: "أيها الرب يسوع انظر إلينا حتى نتعلم نحن أيضاً أن نبكي خطايانا.

الأعمال الأخلاقية والنسكية

- واجبات الاكليروس: هو بحث من ثلاث كتب ألفه عام 386، موجّه إلى اكليروس ميلانو. يعتمد فيه بشكل رئيسي على عمل لشيرون يحمل الاسم ذاته De Officiis، موجّه إلى مسؤولي الوظائف المدنية.
- تحتلّ الكتابات النسكية مكانًا بارزًا في مؤلّفات القديس أمبروسوس، وقد كتب مقالات عدّة في أهميّة البتولية. كان القديس أمبروسوس راعيًا حكيمًا لكنيسة المسيح، وكانت توبة المؤمنين تعني له الكثير. يحكى عنه أنّه كان يبكي عندما كان يستمع الى اعتراف أحد المؤمنين، مما يدفعهم هم أيضًا إلى البكاء.

الأعمال العقائدية

- تناول القديس في كتاباته أهمّ العقائد المسيحية، فكتب العديد من الكتب في الإيمان، الروح القدس، سرّ التجسد، الأسرار، كما كتب عن التوبة وألف الأناشيد التي دخلت في الليتورجيا الكنسية في ميلانو وانتشرت فيما بعد في الغرب.
- كتابان في الإيمان وسرّ التجسد كانا موجّهين ضدّ الأريوسيين وكان يحثّ المؤمنين على الإيمان وليس على الجدّ، ذلك لأنّ الإيمان فيه الشّهادة للمسيح.
- كتاب في التوبة موجّه ضدّ بدعة النوفاتييين أي المُجدّدين.

طروبارية القديس

- لقد أظهرتك أفعال الحق لِرَعِيَّتِكَ، قانونًا للإيمان وَصورةً للوداعةِ وَمُعَلِّمًا للإمساك، أيها الأب رئيس الكهنة أمبروسيوس، لذلك أحرزت بالتواضع الرّفعة وبالمسكنة الغنى، فتشفع إلى المسيح الإله في خلاص نفوسنا.

المراجع

- الأرشمندريت الراهب بيطار، توما، سير القديسين وسائر الأعياد في الكنيسة الأرثوذكسيّة (السنكسار)- الجزء الثاني كانون الأول – كانون الثاني 1997.
- الأخ المتوحّد د. غريغوريوس اسطفان، علم الآباء.